التعليم فى الهواء الطلق

بقلم محمد عطية الابراشى
مفتش بوزارة المعارف

ليست فكرة التعليم فى الهواء الطلق بالجديدة ؛ فقد عمل بها (أفلاطون) ذلك الفيلسوف الأثينى الكبير من قبل ، لأنه شعر بفائدة الهواء وأثره فى الصحة ، فأنشأ جامعته أو معهده العلمى فى بساتينه فى أثينا ، وكان يعلم الطلبة بين الأشجار وجداول المياه ، ليتمتعوا بما فى الطبيعة من جمال ، ويستفيدوا من شمسها وهوائها . فالمربون فى المانيا وأمريكا وانجلترا لم يأتوا بجديد من جهة التعليم فى الهواء الطلق .

مدرسة الهواء الطلق والغرض الأصلى منها :

هى نوع خاص من المدارس التى انتشرت فى أوربة وأمريكا فى القرن العشرين لتعليم ضعفاء الأجسام من الأطفال . والغرض منها تحسين صحتهم أولا ، وتعليمهم ثانياً . وللوصول إلى هذين الغرضين تنشأ فصول أو مدارس أو مصحات فى الهواء الطلق ، ويعنى فيها بغذاء هؤلاء الأطفال ، وملابسهم لوقايتهم من البرد ، والتقليل من أعمالهم المدرسية ، وتنويعها بحيث تناسب حالهم الصحية ، فالفكرة الأساسية فى فى هذا النوع من المدارس هى تقوية أجسام التلاميذ الضعفاء ، مع تعليمهم فى الوقت نفسه . وكثيرا ما نجد بين جدران المدارس أطفالا ضعفاء الجسم ، أقوياء العقل . فإذا حكمنا على هؤلاء بالتعلم فى المدارس العادية ، والمكث فيها من الساعة الثامنة صباحا إلى الرابعة مساء قضينا عليهم بالموت ، وليس من الحكمة طبعاً حرمانهم التعليم ، والقضاء عليهم بالجهل . فمدرسة الهواء الطلق هى الوسيلة الوحيدة للتغلب على هذه الصعوبة ؛ ففيها يجد

الضعاف جواً صحيحاً يتفق مع حالتهم الجسمية ، ويضاف إلى ذلك التربية والتعليم بطريقة خاصة تناسبهم ، فيتعلمون فى أثناء علاجهم ؛ ويعالجون فى أثناء تعليمهم ، فيجمعون بين المزيتين : الصحة والتعلم .

الحاجة إلى الحياة فى الهواء الطلق

إن النشاط العقلى والجسمى للإنسان فى الحياة الخارجية فى الهواء الطلق أكثر منه داخل الفصول بين جدران أربعة ، فقد ألف الانسان جو الطبيعة منذ ظهوره فى هذا العالم ، وجسمه لا يتحمل البقاء محبوساً فى الداخل ، وهذا حق ، وبخاصة فى الطفولة فى الأدوار الأولى للتكون والنمو ؛ فالطفل الصغير يجب أن يقضى كثيراً من الوقت فى الهواء ، فى الحدائق وغيرها . وليس معنى ذلك أن نحرمه التعلم ، بل نعلمه فى بيئة صحية ، فنفيده صحة ، وقوة ، وملاحظة ، وعقلا . والأطفال جبلوا بطبيعتهم على حب الطبيعة والمعيشة فى الهواء والخلاء وإن حبهم للمكث فى الخارج حب غرزى ، الغرض منه المحافظة على النفس والنوع .

هذا وإن النشاط الكبير الذى يظهره الأطفال وهم فى عالم الطبيعة — كالحدائق مثلا — سبب واضح يدعو إلى القيام بالدراسة خارج الفصول بقدر الاستطاعة . ويستفيد التلاميذ من التعلم فى الهواء أكثر من استفادتهم فى الفصول المدرسية . وبخاصة حينما يألفون هذا النوع من الدراسة . ولقد برهنت القواعد الصحية الحديثة على أن المكث طويلا بين أربعة جدران غير صحى ؛ فالأوبئة والأمراض المنتشرة نتيجة طول المكث داخل المنازل أو الحجرات . وعلى المدرس أن يذكر أن أكثر الأمراض انتشاراً فى المدارس الانجليزية والأمريكية مرض الوزن الناشئ عن كثرة المكث فى الداخل ، فى حجر فاسدة الهواء .

فاذا كان للتربية فى دور الطفولة تأثير قوى فى الأطفال طول حياتهم فمن الواجب أن نشجع فيهم ذلك الحب الطبعى للمكث فى الهواء ، ونجتهد

فى تجديد ذلك الشغف بالمكث فى الخلاء ، ونفعل كل ما فى استطاعتنا من قوة لترغيبهم فى المعيشة الصحية ، والعمل على أن يجدوا مسراتهم فى الطبيعة ، وأن يكسبوا العلم والصحة فى وقت واحد .

ولقد برهنت مئات من التجارب فى مدارس الهواء الطلق على أن ضعفاء الأجسام من الأطفال يتعلمون بسرعة عظيمة ، وتزيد قوتهم حينما يسمح لهم بالتعلم فى الهواء الطلق .

يقول أحد الأساتذة فى إحدى الجامعات الأوربية : إنه لم يستطع المحافظة على صحة ابنه إلا بوسيلة واحدة هى : الإصرار دائماً على أن يلعب فى الخارج طول النهار فى يوم السبت والأحد من كل أسبوع [1] ؛ فإن هذا الطفل كان يأتى إلى المنزل يوم الجمعة بعد انقضاء الأسبوع الدراسى وهو متعب ، منهوك القوى . وباللعب والراحة يومى السبت والأحد فى الهواء كانت قواه تتجدد فى أيام الاثنين ، ويكثر نشاطه ، وتزيد حيويته . وفى أيام العطلة والإجازة كانت صحته تتحسن كثيراً من الرياضة فى الحدائق وتغيير الهواء فى المصايف . فمثل هذا الطفل سعيد الحظ بأبيه . أما غيره من الأطفال فقد لا يجدون هذه العناية والملاحظة ، والعمل على تحسين صحتهم ، وتجديد قواهم . فالطفل العادى قد يكون تأخره فى الأعمال المدرسية ناشئاً عن الإجهاد المستمر مع إهمال الرياضة واللعب وتقوية الصحة والاستفادة من الهواء والشمس . وبالاختبار قد شوهد أنه يمكن تحسين كثيرين من الأطفال صحيا لو لعبوا ومكثوا وقتاً طويلا كافياً فى الهواء الطلق .

والتعليم فى الهواء الطلق خطوة كبيرة نحو الطريق المؤدى إلى تقوية أجسام الأطفال عموماً ، والضعفاء منهم خصوصاً . وإذا كان الهواء خير علاج لكثير من أمراض الأطفال ، وغيرهم فلماذا لا يكون خير واق منها ؟

(١) هذان اليومان عطلة أسبوعية فى مدارس أوربة وامريكا .

ولماذا لايكون الهواء أحسن مقو لمن يحتاج إلى القوة والنمو ؟

يجب تنظيم التعليم فى الهواء وتحديده :

قد يجد المدرسون بعض الصعوبة فى حفظ النظام خارج الفصول ؛ لأن التلاميذ كثيرا ما يظنون أنهم عند خروجهم من حجر الدراسة تزول القيود التى يقيدون بها عادة فى الفصول . فهم قد عودوا أن يستذكروا دروسهم ما داموا فى حجر الدراسة ، فإذا ما غادروها تركوا الدروس وراءهم ظهريا ، وهذا مما يؤخذ على المدرسة ، ونريد أن نعمل على تجنبه . وبالمرانة والتعود يمكن تعويد التلاميذ المحافظة على النظام ، سواء أكانوا فى الفصول أم خارجها . ويجب :

(١) أن يستعد الأطفال لتلقى الدروس واستذكارها فى الحجر الدراسية وخارجها ؛ حتى يخطوا خطوة نحو المبدأ القائل بأن « التربية هى الحياة . » وبتعويدهم حب النظام فى الحجر وخارجها يقوم المدرس بجزء كبير نحو تعويدهم النظام فى حياتهم العملية على العموم .

(٢) وأن يعد المدرس مادة شائقة تكفى المدة التى يمكثها مع التلاميذ فى الهواء الطلق ، بحيث يشغلهم بها طول المدة .

وفى الوقت الذى يخرجهم لرحلة يمكنه أن يفهم كل تلميذ ما عليه من الواجبات قبل مغادرة الحجرة ، ويحثهم جميعا على مراعاة النظام ؛ حتى لا يظن المارة أن المدرسة مهملة فى عملها . ويخبرهم بأن من لا يريد الانتباه التام فى أثناء المكث فى الخارج يمكنه البقاء فى الفصل والاستذكار بالطريقة المألوفة .

والرحلات لدراسة التاريخ والطبيعة — فى بيئة الطبيعة الأولى — تحتاج إلى إعداد تام ، وإلمام بالتفصيلات عن كل شىء أكثر مما لو كان التدريس فى حجر الدراسة .

وعلى المدرس أن يبث فى نفوس الأطفال حب جمال الطبيعة ويعمل

على تقوية ملاحظتهم ، ويرغبهم فى الحياة فى عالم الطبيعة ؛ حتى يعرفوا الصلة بينها وبين الإنسان ، ويشجعهم على كتابة ما يلاحظونه وهم فى الحقول والمتنزهات ، وعلى استعمال أعينهم حتى يروا ما فى الأشجار من حياة ، وما فى الطبيعة من جمال . ويحسن أن يسألهم من حين لآخر عما يشاهدونه من مناظر الطبيعة ، ويذكر لهم كلمة عما يلاحظه هو — من أسبوع لآخر — من التغيرات الطبعية ، وعما يحدث فى عالمها ؛ حتى يقلده التلاميذ فى الملاحظة . وينبغى أن يشجعهم المدرس على القيام بإعداد حديقة المدرسة ، وزرعها وتعهدها بأنفسهم .

مدارس الهواء الطلق بالمانيا :

لقد سبقت (المانيا) غيرها من الأمم فى هذا المشروع ، ولا عجب ؛ فالعناية بالصحة وبالفحص عن الأطفال طبيا عند التحاقهم . بالمدارس كبيرة جدا فى المانيا . وقد علم بالبحث أن هناك (٤ ٪) من الصغار يستطيعون الذهاب إلى المدرسة العادية ، ولكنهم لا يمكنهم الانتفاع التام بالتعليم فيها ، لا لنقص فى قواهم العقلية ، بل لفقر دم ، أو ضعف جسم ، وهذا ناشىء عن رداءة الغذاء ، أو المسكن ، أو البيئة . . . الخ.

ونظرا لأن التعليم عام إجبارى فى المانيا ، والحكم على أمثال هؤلاء الضعفاء بالبقاء فى المدارس العادية فيه قضاء على حياتهم ، فالنتيجة الطبعية كانت إنشاء مدارس لهم فى الهواء الطلق بضواحى المدن الكبيرة . ولقد فتحت أول مدرسة من هذا النوع سنة ١٩٠٤ فى (خارلوتنبرج) إحدى ضواحى « برلين »

والمبادئ المتبعة فى هذه المدارس هى :

(١) الحياة والتعلم فى الهواء الطلق .
(٢) إعطاء الطفل كمية كبيرة من الغذاء الجيد بنظام خاص .
(٣) مراعاة النظافة التامة ، وكثرة الراحة ، واللعب .

(٤) اختيار المدرسين الماهرين لإدارة هذه المدارس والتعليم فيها .

(٥) جعل الفصول صغيرة ، وتنويع الدروس حتى تكون شائقة ، والتقليل من المقدار الذى يعطى للتلاميذ مراعاة لحالتهم الصحية ، وتوزيع أوقاتهم بين العمل ، واللعب ، والقراءة ، والغناء ، والراحة ، والغذاء .

(٦) العلاج بالتمرينات فى الهواء الطلق ، وبأشعة الشمس ، والحمامات .

(٧) الوقاية من البرد ، الملابس الصوفية وغيرها ، وتجنب التيارات الهوائية .

(٨) العناية بصحة الأطفال وأسنانهم .

وبعد التجربة الأولى لهذا النظام أظهر الأطفال نجاحاً فى عملهم ، وقويت أجسامهم ، وحسنت صحتهم ، وزاد وزنهم ، وشفى كثير منهم من مرضه ، ولم يتأخروا فى دروسهم ، مع أنهم كانوا يشتغلون أقل من نصف الوقت الذى كان يشتغله قرناؤهم فى المدارس العادية ، ثم كان فى استطاعتهم بعد العلاج أن يلتحقوا مع غيرهم من الأصحاء بالمدارس العامة ، ويسيروا على مستواهم فى الدراسة . وبذلك لم يحرموا التعليم من أجل ضعفهم ، ولم يرهقوا بالنظام العادى من التعليم .

وإذا نجحت هذه الطريقة فى تعليم الضعفاء من الأطفال فلا شك فى نجاحها فى تعليم الأقوياء والمتوسطين منهم . فوزارة المعارف قد أحسنت فى عنايتها بالتعليم فى الهواء الطلق ، حتى تطرد صحة التلاميذ فى التقدم فى مدارسنا ؛ فإنا نشاهد الأطفال المصريين صفر الوجوه ، ضعاف الأجسام لعدم العناية بالتربية المنزلية ، وقلة التبكير فى النوم . ومن القسوة الحكم على طفل صغير بالمكث من الصباح إلى المساء فى حجرة الدراسة وإرهاقه بواجبات منزلية غير معقولة أحياناً فى وقت هو فيه فى أشد الحاجة إلى الراحة واللعب فى الهواء ، والعناية بتربيته الجسمية .

محمد عطية الابراشى